حريتنا فقد استباحت القوة فى ذلك اليوم المشؤوم كل وسائل الاعتداء والتخريب والتدمير والقتل والفتك لتتغلب على حقنا فكانت ارواح المصريين تصعد الى بارئها وهى تسأله ان ينتقم من كل معتد على استقلال البلاد لا يتردد فى سفك الدماء لتحقيق غاية واحدة هى اذلال الشعوب واستعبادها .

نعم لقد كان هذا اليوم الأسود مملوءاً بالحوادث التى ادمت قلب كل مصرى وباتت ذكراه منقوشة فى النفوس تنادى كل ابناء النيل بأن الحكم الاجنبى لا يورث البلاد الا الذل والعار وانه لا حياة لأمة الا فى ظل حريتها واستقلالها

حوادث ضرب الاسكندرية

دقت الساعة السابعة من صباح يوم الثلاثاء ١١ يوليه فدق قلب مصر دقات سريعة لم يسمعها احد فى وسط ذلك الدوى الهائل الذى أحدثه اطلاق القنابل من البوارج الانجليزية التى اصطفت خارج الميناء لتدمر كل شىء أمامها لا دفاعا عن شرف انجلترا ولا ذودا عن مصالحها ولا فى سبيل استرداد حق من حقوقها وانما لغاية أخرى هى خدمة المطامع الاستعمارية التى لا تتردد فى اكتساح الشعوب الضعيفة والتحكم فيها مادام هذا الامر غير عسير عليها

ولو كانت قلاع الاسكندرية محصنة تحصيناً قوياً وبها مدافع تخشى مقذوفاتها او لو كان لمصر بحرية قوية لما أجترأ الاسطول الانجليزى أن يقدم على خرق القوانين الدولية ومهاجمة الشعب الهادىء فى داره ولكن

السياسة الانجليزية كانت عالمة بضعف الحصون وبعدم تعرض الاساطيل للخطر من جراء المدافع المصرية فخلقت الاسباب الواهية لتنشب أظفارها فى عنق المصريين ولم يكن يحتاجها أى شك فى أن مهمة اسكات قلاع الاسكندرية ليست من الصعوبة فى شىء كما أنها لا تكسب القائم بها فخارا ولا شرفا ولا يصح ان يوصف صاحبها بالشجاعة والاقدام ولا بأنه أتى عملا جديراً بأن يخلد فى صفحات التاريخ فهى من المهمات التى تقام لنصرة الظلم ولازهاق الحق بطريق القوة فضلا عن ان التكافؤ مفقود بين قلاع الاسكندرية والاساطيل الانجليزية فالاميرال سيمور كان يحارب بلدا يكاد يكون أعزل من السلاح. ولا يصح ان يوصف عمله بالحرب الشرعية ولا بالقتال المباح وانما هى مأساة كانت تمثلها السياسة الاستعمارية لتصرع الحق بغير مبالاة بعد ماتأكدت ان هذا الحق لاينصره أحد ولا تؤيده قوة

ولقد كانت السياسة الانجليزية على بينة من فظاعة عملها حين قررت الاقدام عليه ولم يكن يخفى عليها مايحدثه من الاثار السيئة ولذلك حاولت قبل ارتكابه ان تخدر اعصاب العالم فأرسل اللورد جرنفيل وزير خارجية انجلترا الى سفراء حكومته فى الخارج رسالة برقية فى اليوم العاشر من شهر يوليه أى قبيل وقوع المأساة بساعات معدودة جاء فيها ما يلى :

« بناء على رسالتى التلغرافية المرسلة اليكم مساء أمس أخبروا الحكومة التى أنتم نائبون لديها عن حكومتنا ان ما سيجريه اميرالنا سيمور بالاسكندرية لا يكون الا من قبيل الدفاع والمحاماة عن الاسطول ولسوء الحظ لانرى بداً من ذلك غير اننا مع ذلك نصرح انه ليس لنا أرب

خفى أو نية غير بينة وقد اتضح لنا من تقرير أميرالنا ان حكام الاسكندرية قد استمروا على تحصين القلاع والاستحكامات مظهرين لنا العدوان والبغضاء بالرغم من نواهى الحضرة الشاهانية وأوامرها الصادرة لهم بالكف عن التظاهر بالامور العدوانية وخلافا لارادة الخديو ولما أبدوه لنا مرارا من انهم مسالمون مصافحون»

ولاجل ان يخدع حكومة الاستانة أضاف اللورد جرنفيل الى الرسالة التى بعث بها الى اللورد دوفرين العبارة الآتية التى لم ترد فى الرسائل الاخرى وهى

«وهذا حرصا منا على مصلحة الجناب الشاهانى الذى خالف الثائرون أوامره ونبذوا مشوراته ووصاياه»

بذلك أرادت السياسة الانجليزية أن تبرر عملها الفظيع بحجة الدفاع عن الخديو والسلطان !! وعن اسطولها الذى تهدده حصون الاسكندرية ! ! وهى من جهة اخرى لاتخجل من القول بانه لم يكن لها مأرب خفى ولا نية غير بينة ! !

وتلك أكذوبة كبرى من اكاذيب السياسة الاستعمارية التى لاتأنف من استخدام مختلف الوسائل تحقيقا لغرضها النهائى

فقد كانت الدوائر السياسية فى فرنسا وغيرها من بلدان أوروبا تعلم حقيقة نيات انجلترا نحو مصر . كانت تعلم أنها تريد وضع يدها على البلاد واذا كان اللورد جرنفيل لم يشأ الافصاح عن ذلك وقتئذ فقد أبت جريدة التيمس الا ان تقول الحقيقة اذ كتبت فى ذلك العهد مقالا ضافيا ذهبت فيه الى ان انجلترا التى عملت بمفردها وتحت مسؤليتها أصبح لها الحق فى

ان تراقب شئون البلد الذى أنقذته !!! وتفصل في مستقبله ثم أخذت تتوقع ان تحكم مصر بالطريقة التى تحكم بها الهند ! ! ومع ذلك يقول اللورد جرنفيل ان السياسة الانجليزية لاترمى لغرض خفى وأنما ترمى لحماية الاسطول وللدفاع عن الخديوى والسلطان !! وهى معاذير ياجأ الاستعماريون الى مثلها ليصرفوا الانظار عن حقيقة مايرمون اليه

والا فاذا كان اللورد جرنفيل صادقا فى دعواه فلماذا بقى الانجليز الى الآن فى مصر وهل لاتزال قلاع الاسكندرية تهدد الاسطول الانجليزى الآن ؟ اللهم انها اكاذيب السياسة التى لاتحترم الا القوة اما الحق المطلق فليس له لديها نفوذ ولا تأثير وهى لاتتردد فى ان تطأه بأقدامها مادام صوت الاستعمار ينادى بذلك

* * *

بدأ ضرب الاسكندرية فى الساعة السابعة صباحا واستمر الى منتصف الساعة السادسة مساء فسكتت قلاع الاسكندرية سكوتا أبديا لانها لم تقو على قنابل ذلك الاسطول الذى كان مؤلفا من ثمانى مدرعات كبرى ومن خمس سفن مدفعية وقد ورد فى أحد التقارير الحربية عن الحادثة أن المدافع المصرية أضرت ببعض السفن الانجليزية بالرغم من قلة الاحكام والاجادة فى أطلاقها فأصيبت المدرعة (انفنسيبل) بعدة قنابل عطلت الاجزاء غير المدرعة منها وأصيبت المدرعة (سلطان) بثلاث وعشرين اصابة اتلفت صواريها ومدخنتها وخرقت قنبلتان الجدران غير المدرعة منها وتعطلت زوارق المدرعة (انفلكسيبل) وتعطل مدفع فى المدرعة (بنيلوب) ومدفعان فى المدرعة (الكسندره) وكانت المدرعة (سوبرب)

أكثر البوارج الانجليزية تعطيلا أما السفن المدفعية الانجليزية فلم تصب بضرر يذكر

هذا من جهة البوارج اما من جهة اصابات البحارة فكانت جملة الخسائر خمسة قتلى وتسعة عشر جريحا

ضحت السياسة الانجليزية بهذه الخسارة التافهة فى مقابل دك القلاع المصرية كلها وقد قتل من المصريين فى خلال هذه الفظائع نحو الفين على ماروا بعض مراسلى الصحف الاجنبية وقتئذ ثم فقدت البلاد ماهو أثمن وأغلى من القلاع ومدافعها ومن الناس وأرواحهم : فقدت استقلالها وحريتها

وقد بقيت جثث الجنود المصرية فى القلاع اياما متوالية حتى تعفنت وكان الهواء يحمل رائحتها فيتأذى منها سكان الجهات المجاورة كما بقيت جثث الكثيرين من غير الجنود مطروحة فى الشوارع تحوم الكلاب حولها دون أن يفكر أحد فى نقلها

وقصارى القول أن هذا اليوم المشئوم كان فاتحة عهد كله شقاء لمصر والمصريين واذا كان ثمة مايدعو للتعزية فذلك أن السياسة الانجليزية لم تستطع لا بأساطيلها ولا بمدافعها ولا بقوة بطشها ولا بمناوراتها ولا بحيلها أن تنال سوءا من الوطنية المصرية. نعم انهادكت الحصون ونسفت القلاع وازهقت الارواح ولكنها لم تتمكن ولن تتمكن من اخماد الشعور القومى ولا من اطفاء جذوة الوطنية الملتهبة فى صدر كل مصرى وستظل هذه الجذوة مشتعلة تنير للمصريين طريق العمل لاستقلالهم حتى يبلغوا غايتهم الشريفة

واذا كان الباطل قد انتصر بتأييد القوة فليس هذا الانتصار الا مؤقتا ولا بد للحق من يوم تعلو فيه كلمته وتخفق رايته على رأس مصر وأبنائها